حول مخطوطة كتاب وجوه إعراب القرآن

الأستاذ الدكتور
عبد المعيد خان
رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة العثمانية حيدر آباد سابقاً

في سنة ألف وتسعمائة وثماني وثلاثين كنت أقطع ساعاتي بين الكتب المخزونة في المتحف البريطاني فوقع في يدي كتاب يحتوي على مجموعة رسائل عديدة وكان منها كتاب وجوه إعراب القرآن لأبي العبّاس أحمد بن علي المقرئ، ولما تصفّحت هذه المخطوطة لاح لي أشياء تدلّ على أنّها نوع جديد من التفاسير، وذلك لأنّ مواد الكتاب تختلف عن المؤلفات التي ألفت حول معاني القرآن وألفاظه وإعرابه، وهذا الاختلاف يظهر جلياً إن تأمّلنا في تأريخ تدوين التفسير.

أوّل ما سمّي باسم التفسير لعلّه تأليف أبيّ بن كعب (م ٢٠ هـ) ثم أعقبه التفسير المنسوب إلى ابن عباس (م ٦٨ هـ) وحذا حذوه في ذلك مجاهد (م ١٠٣هـ) وسفيان الثوري (م ١٦١هـ). وأمّا مراجعة التفسير المنسوب إلى ابن عبّاس والتفسير للثوري تدلّ على أنّهما مكتوبان في أسلوب الأحاديث المأثورة وزاد فيه ابن عبّاس القصص الإسرائيليّة وشرح بعض آيات القرآن وكلماتها الصّعبة في ضوء الشعر الجاهلي كما ورد في الكامل للمبرّد، وهكذا طوى فنّ التفسير مراحل التطوّر حتى نرى علم التفسير ينقسم في القرن الثاني إلى أقسام متعدّدة، منها ما ألّف في معاني القرآن ومجازه وغريب القرآن وإعرابه فشرع العلماء يؤلّفون مؤلّفات خاصّة بغرائب القرآن كتأليف أبان بن تغلب (م ١٤١هـ) والكفطابي (م ١٥٣ هـ) والسدوسي (م ١٩٥هـ) واليزيدي (م ٢٠٢هـ) وأبي عبيدة (م ٢٠٩ هـ) والأصمعي (م ٢١٦هـ) ونضر بن شميل (م ٢٠٣هـ) والأخفش الأوسط (م ٢٢١ هـ) وأبي عبيد (م ٢٢٤هـ) وابن سلّام الجمحي (م ٢٣١هـ) وابن قتيبة (م ٢٧٦هـ) والثعلب (م ٢٩١ هـ) والشّيباني (م ٢٩١هـ) والجعد الشيباني (م ٣٢٢ هـ) ونفطويه (م ٣٢٣هـ) والطبري (م ٣١٠هـ) والبلخي (م ٣٢٢ هـ) وأبي بكر

القاضى(م ٣٥٠ ﻫ) و ابن كامل (م ٣٥٠ ﻫ) والسجستانى (م ٣٠٠ ﻫ) والنقاش (م ٣٥١ ﻫ). وذهب بعض العلماء إلى جمع إعراب القرآن و الآخر إلى استنباط أحكام القرآن و ألفوا كتاباً خاصّةً بهذه العلوم، فأدخل بعض المفسّرين فى مؤلفاتهم مسائل الكلام مثل الزمخشرى، وبعضهم مسائل التصوّف مثل محى الدين ابن العربى، فالتفاسير التى الفت فى معَانى القرآن و مجازه و إعراب القرآن و أحكامه كانت توجد إلى عصر ابن النديم (م ٣٨٥ ﻫ) كما يظهر من كتابه "الفهرست" لكن نوع التفسير الذى نحن فى صدده لم يصل إلى ابن النديم لأنّه لم يذكر علم الوجوه و النظائر فيما من أنواع التفاسير، فأول من جاء بذكر الوجوه والنظائر هو السيوطى فى إتقانه وقال «صنّف فيه قديماً.... قد أفرد فى الوجوه كتاباً سميته "معترك الأقران فى مشترك القرآن"»، ولكن صاحب كشف الظنون أفرد فصلاً خاصّاً بعلم الوجوه والنظائر وقال فى هذا الفصل : إنّ علم الوجوه والنظائر من فروع التفاسير.

وقيل : إنّ علم الوجوه والنظائر بدأ روايته عكرمة وعلى ابن أبى طلحة عن ابن عبّاس فألفت فيه الكتب مثل مؤلفات مقاتل وابن الحسن النقّاش والسيوطى وغيرهم، فقضى عليها الزمان ولم يصل إلينا إلاّ قليل، منها نزهة الأعين لابن الجوزى و وجوه إعراب القرآن لأبى العباس احمد بن على المقرئ؛ ويمتاز صاحب وجوه إعراب القرآن باسناده المشهور عن ابن عباس.

و هذا النوع من التفسير منفرد فى ذاته، وذلك لأن صاحبه يختار ويأتى بألفاظ القرآن التى يستعملها القرآن فى آياته لمعان مختلفة ولايتكل الشارح فى شرحها وتفسيرها على رواية المحدّثين و استدلال الفقهاء والنّحاة كعادة القدماء. فالكتاب يحتوى على ثلاثة وسبعين باباً وكلّ باب ينقسم إلى وجوه عديدة ومع كلّ وجه يأتى المؤلف بآيات القرآن كالشواهد لإثبات المعنى المقصود، وزدنا فى ذيل تعليقاتنا لذلك الكتاب أشعار المتقدّمين لتوجيه كلّ وجه من وجوه مفردات القرآن، ويبتدئ الكتاب بأن "قال ابو العبّاس.... أحمد بن على المقرئ.... قد جمعتُ منها ماتبيّنت عندى صحّته عن الإمام عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب ليكون عوناً لطالبيه".

وهذه المخطوطة النّادرة محفوظة فى المتحف البريطانى تحت رقم ٣٩١٢ ومدوّنة تحت رقم ١٢٢٩ فى ضميمة فهرست الكتب العربيّة، وهى منسوبة إلى أبى العبّاس أحمد بن على المقرئ، ولكن من هذا المقرئ؟ كتب التّاريخ والتّراجم لاتذكر شيئًا عن شخصيّته وأطوار حياته. فبحثنا عن الرّجال الّذين يسمّون بتسمية أحمد بن على ويكنون بأبى العبّاس، فوجدنا صاحب "المصباح المنير" أنّه يعرف باسم كاسم هذا المؤلّف ويلقّب كلقبه، ولكنّه فيّومى بالنسبة إلى وطنه وصاحبنا مقرئ بالنسبة إلى منصبه، ومع هذا كان مؤلّف كتاب وجوه إعراب القرآن مشهوراً باسناده عن عبد الله بن عبّاس ابن عبد المطلب، ولم يكن مؤلّف "المصباح" محدّثاً جليلاً مثل صاحبنا، وزد إلى ذلك أنّ مؤلف وجوه إعراب القرآن فرغ من كتابته فى سنة ثمان وخمسمائة وتوفى مؤلّف "المصباح" فى سنة ٧٧٠هـ، فذلك يلزم أنّ صاحب وجوه إعراب القرآن قدسبق مؤلّف "المصباح" بقرنين؛ فيظهر من هذ كلّه أنّ مؤلّف كتاب وجوه إعراب القرآن مجهول لايعرف ومحدّث مخمول لايذكر؛ فهذه مسألة دقيقة وتحتاج إلى مزيد البحث والتحقيق. ونرجع إليها عند فرصة أخرى[1].

(1) ولمزيد الاستفادة ندرج ههنا فهرست أوائل الكتب التى الفت فى غريب القرآن ونوادره:

أبان بن تغلب (م ١٤١ هـ)	انظر بغية الوعاة: ١٧٦ طبع القاهرة ١٣٢٦هـ	أبوبكر القاضى (م ٣٥٠ هـ)
الكفرطابى (م ١٥٣هـ)	البغية: ١٣٤	البغية: ١٥٣
السدوسى (م ١٩٥ هـ)	الفهرست لابن النديم: ٧١ طبع الرحمانية بمصر ١٣٤٨هـ	ابن كامل (م ٣٥٠ هـ)
اليزيدى (م ٢٠٢ هـ)	البغية: ٤١٥، الفهرست: ٥٢	الفهرست: ٤٨
أبوعبيدة (م ٢٠٩هـ)	البغية: ٣٩٥، الفهرست: ٧٩	السجستانى (م ٣٣٠هـ)
الأصمعى (م ٢١٦هـ)	البغية: ٣١٣، الفهرست: ٨٢	البغية: ٧٣
النضر بن شميل (م ٢٠٣هـ)	البغية: ٤٠٥، الفهرست ٧٧	النقاش (م ٣٥١هـ)
الأخفش الأوسط (٢٢١ هـ)	البغية: ٢٥٨	الفهرست: ٥٠
أبوعبيد (م ٢٢٤هـ)	البغية: ٣٧٦، الفهرست ١٠٦	الوراق
ابن قتيبة (م ٢٧٦ هـ)	البغية: ٢٩١، الفهرست ١١٥	الفهرست: ٥٣
الثعلب (م ٢٩١ هـ)	البغية: ١٧٢	العروضى
الشيبانى (م ٢٩١هـ)	البغية: ١٧٣	الفهرست: ٥٣
الجعد الشيبانى (م ٣٢٢هـ)	البغية: ٧٢	محمّد بن دينار
نفطويه (م ٣٢٣هـ)	الفهرست: ١٢١	الفهرست ٥٢
الطبري (م ٣١٠هـ)	الفهرست: ٣٢٦	ابن رستم الطبرى
البلخى (٣٢٢هـ)	البغية: ١٣٤، الفهرست ١٩٨	البغية: ١٢٩، الفهرست: ٨٩